الفصل السابع

عهد القضاة

بعد موت يشوع، أصبح الموسويون مهددين بالفناء، وأُجبروا على إخلاء بعض المناطق التي استولوا عليها من قبل، وضاق بهم الأمر جداً، وتعزو التوراة ذلك إلى غضب الرب على بني إسسرائيل. فتقول: ((قام جيل جديد لم يعرف الرب ولا العمل الذي عمل لإسرائيل وفعل بنواإسرائيل الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم... وغضب الرب على بني إسرائيل ودفعهم ليد أعدائهم. فضاق بهم الأمر جداً. وأقام الرب قضاة فخلصوهم من يد ناهبيهم)).

قضاة (2: 10- 11).

وبذلك أُطلق على الفترة التي أعقبت موت يشوع ((عصر القضاة)). واستمرت هذه الفترة حسب تقدير المؤرخين حوالي قرن ((1125 - 1025) ق.م واتصفت هذه الفترة من تاريخ الموسويين بالاضطراب وتعدد النكسات التي كادت أن تؤدي إلى القضاء عليهم.وتعترف التوراة بذلك وتعزوه إلى غضب الرب على بني إسرائيل، كما تعوّدت ذكره بعد كل نكسة أصابتهم.

لكن الحقيقة هي غير التفسير الذي تعطيه التوراة بعد كل هزيمة أو نكسة تصيب الموسويين، وتجعل ذلك يعود إلى غضب الرب. لكننا نجد أن الكنعانيين في بلاد غامد وزهران والفلسطينيين سكان قرية (فلشة)، قد أصبحوا من القوة

obeikandl.com

بحيث تمكنوا من إخضاع الموسويين بعد التغلب عليهم في فترات متواصلة خلال عصر القضاة.

وتعترف التوراة بصمود سكان كنعان أمام الموسويين، والدفاع عن أراضيهم، كما تؤكد التوراة أن الموسويين لم يتمكنوا من إجلاء الكنعانيين أصحاب البلاد من أراضيهم، بل سكنوا بينهم. كما جاء في سفر القضاة (3: 5و6): ((فسكن بنو إسرائيل في وسط الكنعانيين والحثيين والأموريين ... واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم)).

يقدر المؤرخون أن الفترة الواقعة بين (1100- 950) ق.م استناداً إلى مدونات التوراة، قد اتصفت بالهزائم المتلاحقة التي أصابت الموسويين، حيث استمر الفلسطينيون في مطاردة جماعة موسى البدوية المتنقلة بين جبال غامد وزهران وألحقوا بهم هزيمة تلو أخرى. ((فحارب الفلسطينيون وانكسر إسرائيل وهربوا، كل واحد إلى خيمته وكانت الضربة عظيمة جداً.. فأخذ الفلسطينيون تابوت الله)) صموئيل الأول (4: 12و 5: 1).

وفي هذه المرحلة نزل بنو إسرائيل في تلك الأرض، وتنقلوا فيها، يسطون مرة على القرى، ويطاردهم السكان مرة أخرى،كما هي العادة مع جماعات البدو الرحل المتنقلين بين الجبال والوديان، فلا تربطهم بالأرض أية رابطة، إلا بقدر ما توفره من غنائم وأسلاب ومراعٍ دونما تعب.

وبقيت تلك الجماعة تتنقل وتتسلل من وادٍ إلى وادٍ دون أن يسمع بذكرهم أحد. بل كان الموسويون يلاحق بعضهم بعضاً، فيقتتلون من أجل فرض الهيمنة على الزعامة والاستئثار بأموال النهب والسلب. فاستمرت هذه الحالة حتى عهد الملك (سليمان).

وقد أسهبت التوراة في ذكر تلك المنازعات الداخلية بين الموسويين أنفسهم من أجل الحصول على الأموال والأتاوات التي كانوا يحصلون عليها من السطو والسرقة وأما من المحافظة على طرق التجارة لصالح فريق أو لآخر. وتذكر التوراة أن آخر القضاة كان صموئيل، ولما شاخ هذا، طلب إليه الموسويون أن يعيّن لهم ملكاً أسوة بالملوك الكنعانيين. فعين لهم (شاؤل).

وتقول التوراة في سفر صموئيل الأول (11 : 14و15) ما يلي: ((وقال صموئيل للشعب هلمّوا نذهب إلى (الجلجال) ونجدّد هناك المملكة. فذهب كل الشعب إلى (الجلجال) وملّكوا هناك (شاؤل) أمام الرب)).

وبذلك تبدأ مرحلة جديدة بالنسبة للموسويين، هي مرحلة الملوك (حسب مدونات التوراة).